دار الكتاب الجديد
لجنة إحياء التراث الإسلامى

أسباب نزول القرآن

لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى

تحقيق : السيد أحمد صقر

الطبعة الاولى ١٣٨٩ — ١٩٦٩

مؤلف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب هو : أبو الحسن : على بن أحمد بن محمد بن على ، الواحدى ، النيسابورى . ويذكر المترجمون له أنه من أولاد التجار الذين شغفوا بالعلم وعرفوا به ، وأنه أحد اخوة ثلاثة : أكبرهم أبو القاسم : عبد الرحمن بن أحمد الواحدى . وهو من العلماء الذين عقدت لهم مجالس الاملاء وتوفى فى شهر ربيع الآخر من سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وثانيهما أبو بكر : سعد بن أحمد الواحدى ، السمسار ، وكان نزيه الطعمة ، من أولى الصيانة والعفة ، وهو من الثقات الذين أكثروا السماع من أصحاب أبى العباس الاصم ، ولم أقف على تاريخ وفاته .

وثالثهما : « على بن أحمد الواحدى » وقد وصف بالامامة فى التفسير ، والمتانة فى اللغة والنحو والادب والعروض والقراءات . ونعت شعره بالجودة والملاحة . وأقدم من ترجم له : عبد الغافر الفارسى النيسابورى (٤٥١ — ٥٢٩ هـ) فى كتاب « السياق فى تاريخ نيسابور » وقال عنه : انه أنفق شبابه فى التحصيل ، واتقان أصول العلوم على أئمتها ، والرحلة فى طلب المزيد من المعرفة ، حتى صار أستاذ عصره . وواحد دهره ، وانقطع الى التدريس والاملاء عدة سنين ، حتى أصابه مرض طويل أسلمه الى الموت فى جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة .

ثم يذكر عبد الغافر الفارسى أن الواحدى كان يحظى بالاعظام والاكرام من الوزير نظام الملك (٤٠٨ — ٤٨٥) وليس ذلك غريبا ، فقد كان نظام الملك أديبا شاعرا مشاركا فى العلوم ، محبا لها . ولم يشغله تدبير السياسة عن تقدير العلم ، بل رأى أن أمانة الوزارة لا تؤدى كاملة الا اذا قدر العلم

حق قدره ، وعمل على نشره ، ورفع من مكانة أهله ، فأكثر لذلك من انشاء المدارس وقدر المعاليم لطلبتها ، وانتقى مدرسيها . وأدنى العلماء من مجلسه، وبالغ فى اكرامهم مدة وزارته التى دامت ثلاثين سنة .

وقد سمع نظام الملك الحديث وأسمعه . وكان يقول : انى أعلم أنى لست أهلا لذلك ، ولكنى أريد ربط نفسى فى قطار النقلة لحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وكان يعتقد فى الصوفية ، ويقربهم اليه ، ويكثر من الانعام عليهم ، ابتغاء الظفر بما لهم من أحوال الكشف .

وقد جرى أبو القاسم أخو نظام الملك على سننه فى لحظ الواحدى بين الاعزاز والاكرام ، لانه كان كذلك من العلماء وقد مات سنة ٤٩٩ عن ثمانين سنة .

وقد علل عبد الغافر الفارسى اعظام نظام الملك للواحدى بأنه « كان حقيقا بالاحترام . لولا ما كان فيه : من ازرائه على الائمة المتقدمين ، وبسط اللسان فيهم بما لا يليق » .

والسبب الحقيقى أن الواحدى نال من عالم له مكانة مكينة فى نفوس الناس ، وفى نفس عبد الغافر بصفة خاصة ، فهو عنده : « شيخ الطريقة فى وقته . الموفق فى جميع علوم الحقائق ، ومعرفة طريقة التصوف . وصاحب التصانيف العجيبة فى علم القوم » ألا وهو أبو عبد الرحمن السلمى (٣٣٠ — ٤١٢ هـ) .

وقد كشف أبو سعد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ عن السر فى ذلك حيث يقول : « كان الواحدى حقيقا بكل احترام واعظام ، لكن كان فيه بسط اللسان فى الائمة المتقدمين ، حتى لسمعت أبا بكر : أحمد بن محمد بن بشار بنيسابور مذاكرة يقول : كان على بن أحمد الواحدى يقول : صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتاب « حقائق التفسير » ولو قال ان ذلك تفسير للقرآن لكفر به .

ولست أدرى ما الذى كان يريد عبد الغافر من الواحدى أن يقول غير هذا القـــول ؟ وهو لا يسعه سواه ، كمؤمن يؤمن بأن القرآن نزل بلســـان عربى مبين ، فلا يفسر الا بما دل عليه اللفظ العربى ؟ أكان يريد منه أن يتملق نظام الملك ، وعوام العلماء ، ويقول : ان هذا تفسير للقرآن يقره الاسلام ؟ وهل انفرد الواحدى بذلك القول ؟ ان جمهرة العلماء ذهبوا مثل مذهبه . وقد قال ابن الجوزى فى تلبيس ابليس ص ٣٣١ « وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلام الصوفية الذى أكثره هذيان لا يحل ، نحو مجلدين سماهما « حقائق التفسير » .

فقال فى فاتحة الكتاب عنهم : انهم قالوا : انما سميت فاتحة الكتاب ، لانها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا ، فان تأدبت بذلك والا حرمت لطـــائف ما بعـــد .

وهذا فى غاية القبح ، لأن لفظ الآية لفظ الخير ومعناه الأمر . وتقديرها : وقال فى قول الانسان : « آمين » أى قاصدون نحوك .

وهذا قبيح : لانه ليس من « أم » لانه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة .

وقال فى قوله تعالى : (وان يأتوكم أسارى) قال أبو عثمان : غرقى فى الذنوب .

وقال الواسطى : غرقى فى رؤية أفعالهم .

وقال الجنيد : أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم الى قطع العلائق .

وانما الآية على وجه الانكار ، ومعناها : اذا أسرتموهم فديتموهم ، واذا حاربتموهم قتلتموهم . وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح .

وقال فى قوله : (ومن دخله كان آمنا) أى من هواجس نفسه ، ووساوس الشيطان .

وهذا فى غاية القبح ، لأن لفظ الآية لفظ الخير ومعناه الأمر . وتقديرها : من دخل الحرم فأمنوه .

وهؤلاء قد فسروها على الخير ، ثم لا يصح لهم ، لأنه كم من داخل الى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس .

وذكر فى قوله : (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) قال أبو تراب : هى الدعاوى الفاسدة .

وقال فى قوله تعالى : (وهم بهـــا) قال أبو بكر الوراق : الهمان لها ، ويوسف ما هم بها . وهذا خلاف لصريح القرآن .

وقوله : (ما هذا بشرا) قال محمد بن على : ما هذا بأهل أن يدعى الى المبـــاشرة .

وقال فى قوله : (ولله المكر جميعا) قال الحسن : لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده ، حيث أوهمهم أن لهم سبيلا اليه بحال . أو للحدث اقتران مع القـــدم .

ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض ، لانه يشـــير الى أنه كالهـــزء واللعب . ولكن الحسين هذا هو الحلاج . وهذا يليق بذاك .

وجميع الكتاب من هذا الجنس ، ولقد هممت أن أثبت منه ها هنا كثيرا ، فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شىء بين الكفر والخطأ والهذيان . وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما فى الكتاب فهـــذا أنموذجه ، ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب » .

وقال الذهبى فى تذكرة الحفاظ ١٠٤٦/٣ « ألف السلمى حقائق التفسير ، فأتى فيه بمصائب ، وتأويلات الباطنية ، نسأل الله العافيـــة » وقال مرة أخرى عنه : « ليته لم يصنفه ، فانه تحريف وقرمطة . فدونك الكتاب فسترى العجب » .

وقد ذكر المترجمون للواحدى أن له كتبا فى غير التفسير منها : شرح ديوان المتنبى . وهو مطبوع فى برلين سنة ١٨٦١ م ، وكتاب الامثال ، وشرح أسماء الله الحسنى ، والدعوات ، والمغازى ، وتفسير أسماء النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الاعراب عن الاعراب .

كما ذكروا له كتبا أخرى فى تفسير القرآن ، وهى التى نقصر عليها الحديث فى هذا فى الفصل التالى

الواحدى المفسر

يعد الواحدى فى طليعة العلماء القلائل الذين أدركوا منذ شبابهم الباكر أن الاقتدار على تفسير القرآن لايكون إلا بعد التَّضلُّع من علوم اللغة ، والتمكن من أدبها ، والمعرفة بطرائق العرب فى كلامها ، ومَنازِعها فى بيانها وتَبْيينها .

ومن أجل ذلك أقبل على تلك العلوم بِجَلَدٍ لا يطوف به وهن ، ودأب لا يعتريه كلال أو ملال ، واستشراف إلى الإلمام بما أنتجته قرائح الأجيال . وأتيح له أن يتتلمذ على طائفة من العلماء البارعين فى علومهم ، المقدرين لشرف رسالتهم ، والعاملين على القيام بها بكل ماأوتوا ، والذين لايكتفون بنشر علومهم بين طلابهم ، وإنما يعنون بتخريجهم ، وتقويم أَوَدِهِمْ ، وتعهد مواهبهم بالرعاية والعناية ، حتى تستحصد وتستغلظ وتستوى قائمة على أصولها فى غدها المرتقب المأمول ، وهم حين يعملون ذلك يدركون أنهم يقومون بما افترض الله ورسوله عليهم من النصيحة والإحسان فى تثقيف جيل العلماء الذين سيخلفونهم ، ويضطلعون من بعدهم بأداء الرسالة حتى تتابع أجيال العلماء قوية مقتدرة على حمل أمانة التبليغ الذى أمر به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويظل العلم قويا فتيا ، متصل الحلقات ، متدارك الموجات ، فتحيا به الأمة ، وتكون بحق كما أرادها الله : خيرأمة أخرجت للناس ، بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وجمعها بين الإيمان الصريح ، والعلم الصحيح .

وفى مقدمة هؤلاء العلماء الذين سعد الواحدى بصحبتهم : أبو الفضل : أحمد بن محمد بن عبد الله السلمكى الصفار النيسابورى العروضى (٣٣٤ — ٤١٦ هـ) وكان شيخ أهل الأدب فى عصره .

أنفق حياته فى مطالعة العلوم وتدريسها ، أخذ عن ثعلب ، وروى عن أبى منصور الأزهرى كتاب تهذيب اللغة ، وكان شاعراً ناقداً لاذع النقد ، وكانت له اليد الطولى

فى علم العروض حتى نسب إليه . وقد استمرت صحبة الواحدى له عدة سنوات أنفق أيامها فى اقتباس علمه ، وقرأ عليه ماشاء الله من كتب اللغة ودواوين الشعراء ، وهو الذى نصحه بالتفرغ للتفسير ، ودراسته على المفسر الكبير : أبى إسحاق الثعلبى .

ومنهم : أبو الحسن : على بن محمد بن ابراهيم ، الضرير ، القُهُنْدُزِى .

وهو نحوى محدث من أصحاب أبى عبد الله : محمد بن عبد الله الضبى النيسابورى ، المعروف بالحاكم . قرأ عليه كثير من الأئمة وتخرجوا به . وهو من الممتازين فى علم القراءات .

ومنهم : أبو الحسن : عمران بن موسى المغربى المالكى ، المتوفى سنة ٤٣٠ عن خمس وستين سنة .

وهو فقيه ، أصولى ، نحوى ، رحل إلى بغداد سنة ٣٩٩ وأخذ عن أبى بكر الباقلانى .

ومنهم : أبو عثمان : سعيد بن محمد المقرى الزعفرانى الحيرى المتوفى سنة ٤٢٧ وكان من الثقات الصالحين ، سمع بنيسابور والعراق والحجاز ، وكان مقصد القُصَّاد فى القراءات .

ومنهم : أبو الحسن : على بن محمد بن عبيد الله الفارسى المتوفى سنة ٤٣١

ومنهم أبو إسحاق : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى ، المتوفى سنة ٤٢٧ وهو مفسر مقرىء واعظ أديب ، صنف كتباً منها كتاب «العرائس فى قصص الأنبياء» ، ومنها — وهو أجلها — كتاب « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » الذى استخرجه من زهاء مائة كتاب .

وللواحدى أساتذة كثيرون غير هؤلاء ، ولكنى اقتصرت عليهم هنا كما اقتصر هو عليهم فى ترجمته لنفسه ؛ لأنهم هم الذين ثقفوه وخرجوه ، ومكنوه من أسباب التأليف فى تفسير القرآن .

وقد ألف الواحدى فى التفسير ثلاثة كتب هى : البسيط ، والوسيط ، والوجيز . وقد قدم للوسيط بمقدمة ضافية رائعة فيها كثير من الجدة والإبداع ، وفيها كثير من الأفكار والآراء التى تجدر دراستها فى إسهاب وإطناب لاسبيل إليهما فى هذا المقام.

وقد أخبر فى هذه المقدمة أن نفسه كانت تحدثه منذ دهر بأن يعلق فقراً فى تفسير القرآن وإعرابه وعلل قراءته ، فى ورقات يصغر حجمها ، ويكثر غُنمها ، وأن الأيام مطلته بصروفها على اختلاف صنوفها ، إلى أن شدد عليه الخناق قوم ممن لهم فى العلم سابقة ، فاستجاب لهم لتوفر دواعى أهل زمانه على الجهل ، وظهور رغباتهم عن العلم الذى فيه شرف الدين والدنيا وعز الآخرة والأولى . وأن هؤلاء شكوا إليه غلظ حجم المصنفات فى التفسير ، وأن الكتاب الواحد منها تستغرق كتابته العمر ، ويستنزف الروح سماعه وقراءته ، ثم لايحظى صاحبه منه — بعد ذلك — بطائل تعظم عائدته .

ثم قال : « إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعلُّم النحو والأدب ، فإنهما عمدتاه ، وإحكام أصولها ، وتتبع مناهج لغات العرب فيما يحويه من الاستعارات الباهرة ، والأمثال النادرة ، والتشبيهات البديعة ، والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير ، مما لايوجد مثله فى سائر اللغات .

وأطنب فى التدليل على وجوب تعلم ذلك ، ثم قال : « ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن : الأدب ، ومعرفة اللغة العربية . ولا تجد ذلك مُتأتياً لمن لم يمرن عليها ، ولم يتدرب عليها » .

واستشهد بما روى عن مالك بن أنس أنه قال : « لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا » وعقب عليه بقوله : « وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة — فى فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه — لسيد المرسلين ؟ وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجا بلاسلاح ، ورام أن يصعد الهواء بلاجناح . ثم وإن طال تأمله مصنفات المفسرين ، وتتبعه

أقوال أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين ، فوقف على معانى ما أودعوه كتبهم ، وعرف ألفاظهم التى عبروا بها عن معانى القرآن — لم يكن إلا تابعا لهم فيما حكوه ، وعارفاً معانى قول مجاهد ومقاتل وقتادة والسدّى وغيرهم ، دون معنى قول الله» وهذا قول دقيق ، ورأى وثيق ، ويكمن فيه فيما أرى السر الحقيق فى تلك الكثرة الكاثرة من كتب التفسير ، وقلة المفسرين الذين لا يخف وزنهم فى ميزان النقد العلمى . ثم تحدث الواحدى عن طبقات المصنفين ، وأبان أن التابعين لم يتصنعوا فى جمع ما جمعوا ، ولم يتكلفوا فى تتبع الخبايا من الزوايا ، وأن أرباب المعانى اقتصروا على الاعراب . وأنه قل من المتأخرين — على اختلاف أغراضهم ومراتبهم — من تراه يعنى بسَوْق اللفظ على التفسير ، وإفراغه فى قوالب المعانى ؛ حتى يأتى به متسقاً من غير ترجيح ، ومطّرداً من غير تخاذل .

ثم ترجم عن نفسه ، وأفصح عن مشاعره وخواطره فيما يعتقده فى نفسه وفيمن أخذ عنهم . وإنى أنقل قوله على ما فيه من طول ؛ لكثرة دلالته ، وعظم غنائه فى فهم الواحدى ، والدلالة على عقله وفكره وثقافته وشخصيته ، وهو أبلغ فى الدلالة على ذلك وعلى غيره ، من كل كلام يقال عنه أنّى كانت مكانة قائله من البيان .

قال الواحدى : « وأظننى لم آل جهداً فى إحكام أصول هذا العلم ، على حسب ما يليق بزماننا هذا ، وتسعه سنو عمرى — على قلة أعدادها — فقد وفق الله تعالى — وله الحمد — حتى اقتبست كل ما احتجت إليه فى هذا الباب من مظانه ، وأخذته من معادنه .

أما « اللغة » فقد درستها على الشيخ « أبى الفضل : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضى » رحمه الله ، وكان قد خنق التسعين فى خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار ، وقرأ عليهم ، وروى عنهم : كأبى منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب « التهذيب » وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ،

وأبا نصر : طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخَجِي . وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة ، وأئمة اللغة . وسمع أبا العباس الأصَمّ ، وروى عنه . واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار ، والاستدراكات على النحول من علماء اللغة والنحو .

وكنت قد لازمته سنين : أدخل عليه عند طلوع الشمس ، وأخرج لغروبها . أسمع ، وأقرأ ، وأعلق ، واحفظ ، وأبحث ، وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار .

وقرأت عليه الكثير من الدواوين ، وكتب اللغة . حتى عاتبنى شيخى — رحمه الله يوماً من الأيام ، وقال : إنك لم تبق ديوانا من الشعر إلا قضيت حقه. أما آن لك أن تتفرغ لكتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى يأتيه البعداء من أقاصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار ؟ ! يعنى الأستاذ الإمام : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبى ، رحمه الله ، فقلت : يا أبت ، إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد . وإذا لم أُحكم الأدب بجد وتعب ، لم أَرْمِ فى غرض التفسير عن كَثَب . ثم لم أُغِبّ زيارته يوما من الأيام ، إلى أن حال بيننا قَدَرُ الحمام .

وأما «النحو» فإنى لما كنت فى ميعة صباى وشرخ شبيبتى ، وَقَعْتُ إلى الشيخ : « أبى الحسن : على بن محمد الضرير » رحمه الله ، وكان من أبرع أهل زمانه فى لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضايق طرق العربية ودقائقها . ولعلّه تفرّس فىّ ، وتوسّم أثر الخير لدىّ ؛ فتجرد لتخريجى ، وصرف وُكْدَهُ إلى تأديبى ، ولم يدّخر عنى شيئاً من مكنون ما عنده ، حتى استأثرنى بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه . وقرأت عليه جوامع النحو ، والتصريف ، والمعانى . وعلقت عنه قريبا من مائة جزء فى المسائل المشكلة . وسمعت منه أكثر مصنفاته فى النحو والعروض والعلل . وخصّنى بكتابه الكبير فى علل القراءات المرتبة فى كتاب الغاية لابن مهران ، رحمه الله .

ثم ورد علينا الشيخ الإمام : « أبو الحسن : عمران بن موسى المغربى ، المالكى » وكان واحد عصره وبَاقِعَةَ دهره فى علل النحو . لم يلحق أحد ممن سمعنا شَأْوَهُ فى معرفة الإعراب . ولقد صحبته مدة إقامته عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده .

وأما « القرآن ، وقراءات الأمصار ، واختيارات الأئمة » فإنى اختلفت أولا إلى الأستاذ « أبى القاسم : على بن أحمد البستى » رحمه الله . وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبى بكر : أحمد بن الحسين بن مهران ، رحمه الله .

ثم ذهبت إلى الإمامين : « أبى عثمان : سعيد بن محمد الحيرى ، و « أبى الحسن : على بن محمد الفارسى » رحمهما الله . وكانا قد انتهت إليهما الرياسة فى هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع ، فى علو السن ، ورؤية المشايخ ، وكثرة التلاميذ ، وغزارة العلوم ، وارتفاع الأسانيد ، والوثوق فيها . فقرأت عليهما ، وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً ، بعون الله وحسن توفيقه .

وقرأت على الأستاذ « سعيد » مصنفات « ابن مهران » وروى لنا كتب « أبى على الفَسَوى » عنه . وقرأت عليه بلفظى كتاب « الزَّجَّاج » فى المعانى ، روايته عن « ابن مقسم » عنه . وسمع بقراءتى الخَلْقُ الكثير .

ثم فرغت للأستاذ الإمام : « أبى إسحاق : أحمد بن محمد بن ابراهيم الثَّعْلَبى » رحمه الله ، وكان حَبْرَ العلماء ، بل بَحْرَهم ، ونَجْمَ الفضلاء ، بل بَدْرَهم ، وزين الأمة ، بل نحرهم ، وواحد الأمة ، بل صدرهم . وله التفسير الملقب بالكشف والبيان ، عن تفسير القرآن » الذى رُفِعَت به المطايا فى السهل والأوْعار ، وسارت به الفُلْك فى البحار ، وهَبَّت هَبُوب الريح فى الأقطار :

وفسيرُ مسير الشمس فى كلِّ بلدةٍ وهبَّ هُبوبُ الريح فى البر والبَحْرِ

وأصْفَقَت عليه كافة الأمة على اختلاف نِحَلِهِمْ ، وأقرُّوا له بالفضيلة فى تصنيفه

عالم يُسْبَق إلى مثله . فمن أدركه وصَحِبَه ، علم أنه كان منقطع القَرين . ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ، ليستدل بها على أنّه كان بحراً لا يُنْزَف ، وغَمْراً لا يُسْبَر .

وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، وتفسيره الكبير ، وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن ، وغيرها .

ولو أثبتُّ « الشايخ » الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطئتها — لطال الخَطْب ، ومَلَّ الناظر » .

ثم وصف كتابه ، وشرح منهجه فيه ، وبين أنه لا سبيل إلى نهاية القول فى تفسير القرآن وأنه لذلك قد اعتزم إرْدَافَهُ بكتاب آخر أنضج منه ، إن طال عمره ، وذلك قوله : « وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره ، حتى أبرزه كالقمر انجاب سحابه ، والزلال صفا مَتْنُه واطَّرَد حَبَابه ، يؤدى إلى المتأمِّل نضرة الكلم العذاب ، ورونق الذهب المذاب . سالكاً نهج الإعجاز فى الإيجاز . . مشتملا على ما نقمت على غيرى إهماله ، ونعيت عليه إغفاله . خالياً عما يكسب المستفيد ملالة ، ويتصور عند التّصفّح إطالة . لا يدع لمن تأمّله حارَّة فى صدره حتى يخرجه من ظلمة الريب والتخمين ، إلى نور العلم ، وثلج اليقين .

هذا بعد أن يكون المتأمل مُرْتاضاً فى صنعة الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحِجَاج قَارِحاً فى سلوك المنهاج . فأمّا الجَذَعُ المُزْجَى من المقتبسين ، والرِّيِّضُ الكَزُّ من المبتدئين — فإنه مع هذا الكتاب كمُزَاوِلٍ غَلَقاً ضاع عنه المفتاح ، ومُتَخَبِّطٍ فى ظلماء ليل خانه المصباح .

وأبتدىء فى كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ، ما وجدت له نصاً ، ثم بقول من هو قدوة فى هذا العلم من الصحابة وأتباعهم ، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية . فأما الأقوال الفاسدة ، والتفسير المَرْذُول الذى لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة — فمما لم أعبأ به ، ولم أضع الوقت بذكره .

وذكرت وجوه القراءات السبع التى اجتمع عليها أهل الأمصار ، دون تسمية القراء . . وكلّ ينفق مما رزقه الله ، ويعمل على مقدار ماوفقه الله . ومتى يبلغ ضعف سعينا وقاصر جهدنا — نهاية ما لا يتناهى ؟ وهذا سهل بن عبد الله يقول : لو أُعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم — لم يبلغ نهاية ما أودع الله فى آية من كتابه؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفته ، وكما أن ليس لله نهاية ، فكذلك لانهاية لفهم كلامه وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله على قلبه . وكلام الله غير مخلوق ، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فُهُومٌ مُحْدثة مخلوقة .

ثم إن هذا الكتاب عُجالة الوقت ، وقبسة العَجْلَان ، وتذكرة يستصحبها المرء حيثما حل وارتحل . وإن أنسىء الأجل ، وأُرْخِيَ الطُّوَلُ ، وأَنْظَرَنى الليل والنهار ، حتى يتلفع بالمشيب العِذَارُ — أُرْدِفُه بكتاب أنضجه بنار الرّويّة ، وأردده على رأوُوق الفكرة وأضمنه عجائب ما كتبته ، ولطائف ما جمعته » .

وقد اندفع الواحدى فى بسيطه هذا إلى أقصى حد بلغته قدرته كشاب يطلب المثالة بين الناس ، ويبتغى المكانة بين أعلام المفسرين ، فأفرغ فيه كل ما حصّله ووعاه وتمثله وارتضاه ، أو لحظه وارتآه من العلوم التى حذقها ، والفنون التى برع فيها . وكان النحو أغلب العلوم على عقله فاستاق من مسائله الدقاق ماستاق ، واجتلب من مشاكله ما حلا له وراق . ولا عليه أن يأتى تفسيره للبسملة والفاتحة فى أربع وعشرين صفحة من الصفحات الكبيرة التى تشتمل كل واحدة منها على سبعة وعشرين سطراً .

وقد خص البسملة من هذه الصحائف بسبع ، بدأها بقوله : « اختلفت عبارة النحويين فى تسمية هذه الباء الجارة : فسموها مرة حرف إلصاق ، ومرة حرف استعانة ومرة حرف إضافة . وكل هذا صحيح من قولهم .. أما الإلصاق .. وأما الاستعانة .. وأما إلخ ثم ذهب يبين لماذا قال بعض النحويين فى الباء والكاف واللام : إنهن زوائد ؟ ولماذا قال حذاق النحويين : إنها حروف إضافة ؟ ولماذا جرّت ما تدخل عليه

من الأسماء ؟ وما متعلق الباء فى بسم ؟ ولماذا حذفت الألف منها ؟ ثم عرض لاشتقاق الاسم ومعناه عند البصريين والكوفيين . ثم عرض للفظ الجلالة : « الله » وبيان أصل الكلمة ، وأن أصحاب سيبويه قد حكوا عنه قولين . ثم فصّل الخلاف بين العلماء فى كونه مشتقاً أو غير مشتق ، وذكر اختلاف من قالوا إنه مشتق ، وسماهم بأسمائهم مع ما استدلوا به على أقوالهم من أوابد الشعر ، ثم ذكر معناه عند أهل اللغة وعلماء الكلام . ثم عرض للإمالة فى إسم الله ، وأنها جائزة فى قياس العرب وذكر الدليل على جوازها ثم عرض لمعنى « الرحمن الرحيم » ولاختلاف المختلفين فى أى الاسمين أشد مبالغة من الآخر .

وهكذا استغرق الواحدى سبع صحائف فى تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وكان لزاماً أن يطول عليه الأمد فى إتمام الكتاب ، وأن يضيق به ناسخوه وقارئوه قبل تمامه ، وأن يطلبوا إليه النزول إلى الإيجاز مراعاة لأفهامهم ، ومسايرة للزمن فسرعان ما لبى طلبهم وألف لهم كتاب : « الوجيز » الذى قال فيه بعد الحمد والصلاة والتسليم : « أما بعد ، فإن لكل زمان نشوا ، ولكل نشو علما ، يتعاطونه على قدر هممهم وأفهامهم ومددهم فى العمر وأيامهم . وفيما سلف من الأيام وخلا من الشهور والأعوام — كانت الهمم إلى العلوم مصروفة ، والرغبات عليها موقوفة ، يتوفر عليها طلاب المراتب فى الدنيا ، والراغبون فى مثوبة العقبى . ثم لم تزل على مر الليالى تنخفض الهمم وتتراجع ؛ حتى عاد وابلها قطرة ، ولم نشاهد مما كانت عليه ذرة ، ذلك قضاء من الله تعالى مبرم ، ووعد من الرسول محكم ، بانتزاع العلم وقبضة . ثم روى بسنده عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ؛ فضلوا وأضلوا » ثم عقب عليه بقوله : « صدق ، صلى الله عليه وسلم ،

فقد قبضت الفحول ، وهلكت الوعول . وانقرض زمان العلم ، وخمدت جمرته ، وهزمته كرة الجهل ، وعلت دولته ، ولم يبق إلا صُبابة نتجرعها ، وأطْمَارٌ نَجْتَابُهَا ونَتَدَرَّعُها . . . فإنى كنت قد ابتدأت بابداع كتاب فى التفسير لم أسبق إلى مثله ، وطال علىّ الأمر فى ذلك لشرائط تقلدتها ، ومَوَاجِب لحق النصيحة لكتاب الله تحملتها . ثم استعجلنى - قبل إتمامه ، والتفصى عما لزمنى من عهدة إحكامه — نفر متقاصرو الرغبات ، منخفضو الدرجات ، أولو البضائع المزجاة ، إلى إيجاز كتاب فى التفسير يقرب على من يتناوله ، ويسهل على من يتأمله ، من أوجز ما عمل فى بابه ، وأعظم عائدة على مَتَحَفِّظيه وأصحابه . وهذا كتاب أنا فيه نازل إلى درجة أهل زماننا تعجيلا لمنفعتهم ، وتحصيلا للمثوبة فى إفادتهم بما تمنوه طويلا ، فلم يغن عنهم أحد فتيلا . وتاركٌ ما سوى قول واحد معتمد لابن عباس . رحمة الله عليه ، أو من هو فى مثل درجته ، كما يترجم عن اللفظ العويص بأسهل منه . وهذا حين أفتتحه فأقول:

« سورة فاتحة الكتاب »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أى ابتدئوا وافتتحوا بحمد الله تيمنا وتبركا . و ﴿ الله ﴾ اسم تفرد به البارى سبحانه ، يجرى فى وصفه مجرى الأسماء الأعلام ، لا يعرف له اشتقاق . وقيل معناه : ذو العبادة التى بها يقصد ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ صفتان لله تعالى ، معناهما : ذو الرحمة . وهى إرادته الخير . ولا فرق بينهما ، نحو ندمان ونديم » .

وبهذا النموذج يتضح الفرق بين « البسيط » و « الوجيز » .

وقد ذكر الواحدى فى مقدمة كتاب الوسيط أنه ألف قبله مجموعات ثلاث : «معانى التفسير ، ومسند التفسير ، ومختصر التفسير . » ولم يشر أحد ممن ترجم له إلى هذه المجاميع الثلاثة ، ولم أر نقلا عنها أو إشارة إليها ، وأكبر ظنى أن مختصر التفسير هذا هو كتاب آخر غير كتاب الوجيز . وقد قال بعقب قوله هذا : « وقديماً كنت أطالب

بإملاء كتاب تفسير وسيط ، ينحط عن درجـــة « البسيط » الذى تجر فيه أذيال الأقوال ، ويرتفع عن مرتبة « الوجيز » الذى اقتصر فيه على الإقلال . والأيام تدفع فى صـــدر المطلوب بصروفها : على اختلاف صنوفها . وسآخذ نفسى على فتورها ، وقريحتى على قصورها ـ لما أرى من جفاء الزمان ، وخمول العلم وأهله ، وعلو أمر الجاهل على جهله — بتصنيف تفسير أعفيه من التطويل والإكثار ، وأسلمه من خلل الوجازة والاختصار ، وآتى به على النمط الأوسط ، والقصد الأقوم ، حسنة بين السيئتين ومنزلة بين المنزلتين ، لا إقلال ولا إملال . ونعم المعين توفيق الله تعالى لإتمام ما نويت وتيسيره لإحكام ماله تصديت .

ثم ذكر بعد ذلك ما روى من فضائل سورة الفاتحة ، ونزولها ، وأتبعه القول فى آية التسمية ، ثم قال : « وأما التفسير : فإن المتعلَّق به الباء فى قوله : ﴿ بسم الله ﴾ محذوف ، ويستغنى عن إظهاره ؛ لدلالة الحال عليه ، وهو معنى الابتداء ، كأنه قال : بدأت باسم الله ، أو أبدأ باسم الله . والحال تبين أنك مبتدىء ، فاستغنيت عن ذكره . وهى أداة تجر ما بعدها من الأسماء ، نحو : من ، وعن ، وفى .

وحذفت الألف من ﴿ بسم الله ﴾ لأنها وقعت فى موضع معروف لا يجهل القارىء معناه ، فاستُخف طرحُها . وأثبتت فى قوله : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ لأن هذا لا يكثر كثرة بسم الله . ألا ترى أنك تقول : « بسم الله » عند ابتداء كل شىء . ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ، ولا مع غير الباء من الحروف . فتقول : لاسم الله حلاوة فى القلوب . وليس اسم كاسم الله ، فتثبت الألف مع اللام والكاف . هذا فى سقوطها فى الكتابة . وأما سقوطها فى اللفظ فلأنها للوصل ، وقد استغنى عنها بالباء . وعند « البصريين » : أن « الاسم » مشتق من السمو ، لأنه يعلو المسمى . فالاسم ما علا وظهر ، فصار علماً للدلالة على ما تحته من المعنى . وعند « الكوفيين » : « الاسم » مشتق من الوسم والسمة ، وهى العلامة . ومن هـــذا

قال أبو العباس ثعلب : الاسم سمة يوضع على الشيء يعرف به .

والصحيح ما قال أهل البصرة ؛ لأنه لو كان مشتقاً من الوسم لقالوا فى تصغيره : وسيم ، كما قالوا : وُعَيدة ووُصيلة ، فى تصغير : عدة . وصلة . فلما قالوا : « سمى » ظهر أنه من السمو لا من السمة .

وأما « الله » فإن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن هذا الاسم ليس بمشتق ، وأنه اسم تفرد به البارى ، سبحانه وتعالى ، يجرى فى وصفه مجرى الأسماء الأعلام ، لا يشركه فيه أحد . قال الله تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ؟ أى هل تعلم أحداً يسمى الله غيره ؟ وهذا القول يحكى عن الخليل بن أحمد وابن كيسان ، وهو اختيار أبى بكر القفال الشاشى . والأكثرون ذهبوا إلى أنه مشتق من قولهم : أَلَهَ أَلاَهَةً ، أى عُبِد عبادة . وكان ابن عباس يقرأ : ﴿ ويذرك وإلاهتك ﴾ قال : معناه : عِبادَتك . ويقال : تَألّه الرجل : إذا نَسَكَ ، قال رُؤبة :

سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِ

ومعناه : المستحق للعبادة . وذو العبادة الذى إليه تُوجَّه العبادة ، وبها يُقصد .

وقال أبو الهيثم الرازى : « الله » أصله « إله » قال الله تعالى : ﴿ وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ﴾ ولا يكون إلاهاً حتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومدبراً ، وعليه مقتدراً . فمن لم يكن كذلك فليس بإله ، وإن عبد عُبد ظلماً ، بل هو مخلوق مُتَعَبَّد . قال : وأصل « إله » : « وِلاَه » فقلبت الواو همزة ، كما قالوا : للوِشَاح : إشَاح ، وللوِجَاج : إجَاج . ومعنى « وِلاَه » : أن الخلق يَوْلَهُونَ إليه فى حوائجهم ويضرعون فيما ينوبهم ويفزعون إليه فى كل ما يصيبهم ، كما يَوْلَهُ كل طفل إلى أمه .

قوله : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الليث : هما اسمان إشتقاقهما من الرحمة . وقال أبو عبيدة : هما صفتان لله ، معناهما : ذو الرحمة . ورحمة الله : إرادته الخير والنعمة

والإحسان إلى من رحمه . والرحمن عند قوم أشد مبالغة من الرحيم ، كالعلام من العليم . ولهذا قيل : رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، لأن رحمته فى الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر . ورحمته فى الآخرة اختصت بالمؤمنين . وقال آخرون : إنهما بمعنى واحد ، كندمان ونديم ، ولهفان ولهيف . وجمع بينهما للتأكيد ، كقولهم فلان جاد مجد .

ومن هذا العرض لأقوال الواحدى فى آية التسمية فى تفاسيره الثلاثة ـ يتضح أن « الوسيط » خيرها وأنفعها وأجدرها بالإحياء ، ومن ثَمَّ أردت ـ والمشيئة لله ـ أن يكون الكتاب ـ التالى لأسباب نزول القرآن .

وقد ألف الواحدى كتاباً رابعاً فى القرآن ، وهو كتاب : « مقاتل القرآن » ولست أعرف عنه شيئاً إلا أنه كان موجوداً حتى نهاية القرن الثامن ، وآية ذلك أن ابن رجب الحنبلى (٧٣٦ — ٧٩٥) قد نقل منه فى كتابه لطائف المعارف ص ٣٥٨ ونص ما نقله : «روى الواحدى فى كتاب مقاتل القرآن بإسناد له : أن رجلا من أشراف أهل البصرة كان منحدراً إليها فى سفينة ، ومعه جارية له ، فشرب يوما وغنته جارية بعود لها ، وكان معهم فى السفينة فقير صالح ، فقال له : يافتى ، تحسن مثل هـذا ؟ قال : أحسن ماهو أحسن منه . وكان الفقير حسن الصوت . فاستفتح وقرأ : ﴿ قل : متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا . أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ فرمى الرجل مابيده من الشراب فى الماء ، وقال : أشهد أن هذا أحسن مما سمعت ، فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، فتلا عليه : ﴿ وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ الآية . فوقعت فى قلبه موقعاً ، ورمى بالشراب فى الماء ، وكسر العود ، ثم قال : يافتى ، هل هاهنا فرج ؟ قال : نعم ﴿ قل : ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ فصاح صيحة عظيمة ، فنظروا إليه فإذا هو قد مات ، رحمه الله » .

والكتاب الخامس: هو كتاب : «نفى التحريف عن القرآن الشريف» ولا أعلم من أمر وجوده شيئاً .

والكتاب السادس : هو « أسباب نزول القرآن »

وقد قال الواحدى فى مقدمته : إن علوم القرآن غزيرة وضروبها جمة كثيرة، يقصر عنها القول وإن كان بالغا ، ويتقلص عنها ذيله وإن كان سابغاً ، وأنه سبقت له مجموعات تشتمل على أكثر هذه العلوم ، وتنطوى على غررها ، وفيها مقنع وبلاغ ، وهى تغنى قارئها عن جميع المصنفات . ولكنه تبين فى أبناء عصره ومصره الرغبة عن علوم القرآن فرأى أن يؤلف هذا الكتاب فى بيان أسباب نزول القرآن « إذ هى أوفى مايجب الوقوف عليها ، وأولى ماتصرف العناية إليها ؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها . ولا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب ، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب » .

ثم ذكر أن الشرع قد ورد بالوعيد للجاهل ذى العثار فى هذا العلم بالنار ، واستدل على ذلك بالحديث وقال : إن السلف كانوا فى أبعد غايات الاحتراز عن القول فى نزول الآيات ، وقال بعقب دليله على قوله : » وأما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ، ويختلق إفكا وكذباً ، ملقياً زمامه إلى الجهالة ، غير مفكر فى الوعيد للجاهل بسبب نزول الآية . وذلك الذى حدا بى إلى إملاء هذا الكتاب ، الجامع للأسباب ، لينتهى إليه طالبوا هذا الشان ، والمتكلمون فى نزول هذا القرآن ؛ فيعرفوا الصدق ، ويستغنوا به عن التمويه والكذب . ثم رأى أنه لابد من القول أولا فى مبادىء الوحى . وكيفية نزوله على الرسول ، وبيان تلك الأحوال على طريق الإجمال ، فعقد فصلين قدمهما بين يدى الكتاب ، أولهما فى بيان أول مانزل من القرآن ، وثانيهما فى آخر مانزل منه . ثم شرع يفصل القول فى سبب نزول كل آية روى لها سبب.

وأجرى قوله فى ذلك على ترتيب السور فى المصحف ، بعد قوله فى آية التسمية وبيان نزولها ، فالقول الأول فى سورة الفاتحة ، والثانى فى سورة البقرة ، وهكذا .

وقد ينص على مكان نزول السورة فى صدر حديثه عنها ، ثم يورد بسنده الحديث والأثر فى سبب نزول الآية ، وإن كان فيها خلاف فصله وذكر الروايات المختلفة وقد ينص على أن هذا الحديث أو ذاك ، أخرجه البخارى أو مسلم ، أو هما معاً وإن كان فى مستدرك الحاكم نسبه إليه ، وقد يأتى بما يروى غير مسند ، فيقول قال الحسن والشعبى والقرظى ، أو يقول وروى ، أو قال المفسرون .

وأنا فى كل ذلك مصاحب له أخرج الأحاديث ، وأدل على مواطن أقوال من ذكرهم ، وأعين أسماء من أبهم ، وأذكر موضوع أقوال المفسرين فى أمهات كتب التفسير ؛ ليكون قارىء الكتاب على ثقة مما يقرأ ، وبصيرة من فقه مايرد عليه ، وليسهل عليه سبيل الاستزادة إن ابتغى إليها سبيلا .

ولقد ظل كتاب الواحدى هذا عمدة الباحثين والدارسين منذ تأليفه إلى يوم الناس هذا ، وظفر بالمجد والخلود دون من سبقه ، ودون من أتى بعده ممن أراد اللحاق به فلم يشق له غباراً .

وأول عالم أفرد أسباب النزول بالتأليف : هو على بن المدينى المتوفى ٢٣٤ هـ ولكن كتابه لم يصل إلينا ، ثم تبعه جماعة منهم :

أبو المطرف : عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس القرطبى (٣٤٨ - ٤٠٢ هـ) الذى بيعت كتبه بعد موته بأربعين ألف دينار . فقد ألف كتابا أسماه « القصص والأسباب التى نزل من أجلها القرآن »

ثم ألف أبو الفرج بن الجوزى (٥٠٨-٥٩٧) كتابه : « أسباب نزول القرآن »

ثم ألف ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢) كتابه الذى سماه « العجاب فى بيان

الأسباب » وقال السيوطى فى الإتقان ٤٨/١ : إنه « مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملا » وإنى أنقل عنه هاهنا هذا النص الطويل ؛ لأهميته فى التعريف بكتب التفسير فى دقة وإيجاز . وهو كلام خبير قدير ، تمرس بكتب التفسير والحديث ، فقال فيها ما قال عن علم وبينة ، وما رأيت أحداً قال مثل قوله ، ولذا رأيت نقله ليذيع وينتشر ويعم النفع به .

قال ابن حجر ، « الذين اعتنوا بجمع التفسير المسند من طبقة الأئمة الستة : أبو جعفر : محمد بن جرير الطبرى . ويليه : أبو بكر : محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى . وأبو محمد : عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى . ومن طبقة شيوخهم عَبْد ابن حميد الكشى . فهذه التفاسير الأربعة قل أن يشذ عنها شىء من التفسير المرفوع والموقوف على الصحابة ، والمقطوع عن التابعين . وقد أضاف الطبرى إلى النقل المستوعب أشياء لم يشاركوه فيها ، كاستيعاب القراءات والإعراب ، والكلام فى أكثر الآيات على المعانى ، والتصدى لترجيح بعض الأقوال على بعض . وكل من صنف بعده لم يجتمع له ما يجتمع فيه ؛ لأنه فى هذه الأمور فى مرتبة متقاربة ، وغيره يغلب عليه فن من الفنون فيمتاز فيه ، ويقصر فى غيره .

والذين اشتهر عنهم القول فى ذلك من « التابعين » أصحاب « ابن عباس » وفيهم ثقات وضعفاء . فمن « الثقات » : « مجاهد » و « ابن جُبَير » ويروى التفسير عنه من طريق ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . والطريق إلى ابن أبى نجيح قوية . ومنهم : « عكرمة » ويروى التفسير عنه من طريق الحسن بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عنه . ومن طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو سعيد ابن جبير — هكذا بالشك — ولا يضر ؛ لكونه عن ثقة . ومن : طريق معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس . و « على » ثقة ، ولم يلق ابن عباس ، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه . فلذلك كان البخارى وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون

على هذه « النسخة » .

ومن طريق ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران ، وما عدا ذلك يكون عطاء هو : الخراساني ، وهو لم يسمع من ابن عباس ؛ فيكون منقطعاً . إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء ابن أبي رباح .

ومن روايات « الضعفاء عن ابن عباس » : التفسير المنسوب لأبي النضر محمد ابن السائب الكلبي ؛ فانه يرويه عن أبي صالح ـ وهو : مولى أم هانيء ـ عن ابن عباس و « الكلبي » اتهموه بالكذب . وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثتكم عن أبي صالح ـ كذب .

ومع ضعف الكلبي قد روى عنه تفسيره ـ مثله ، أو أشد ضعفاً ، وهو : « محمد بن مروان السدي الصغير » ورواه عن محمد بن مروان ، مثله ، أو أشد ضعفاً ، وهو « صالح ابن محمد الترمذي » .

وممن روى التفسير عن « الكلبي » من « الثقات » : سفيان الثوري ، ومحمد بن فضيل بن غزوان .

ومن « الضعفاء من قِبَل الحفظ » حبان ـ بكسر المهملة ، وتثقيل الموحدة ـ وهو ابن علي العنزي ـ بفتح المهملة ، والنون ، بعدها زاي منقوطة .

ومنهم : « جويبر بن سعيد » وهو وَاهٍ ، روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم . وهو صدوق عن ابن عباس ، ولم يسمع منه شيئاً .

وممن روى التفسير عن « الضحاك » علي بن الحكم وهو ثقة ، وعلي بن سليمان . وهو صدوق . وأبو رَوْق : عطية بن الحارث . وهو لا بأس به .

ومنهم « عثمان بن عطاء الخراساني » يروى التفسير عن أبيه ، عن ابن عباس . ولم يسمع أبوه من ابن عباس .

ومنهم : « إسماعيل بن عبد الرحمن السدي » بضم المهملة ، وتشديد الدال ـ وهو كوفي صدوق ، لكنه جمع التفسير من طرق منها : عن أبي صالح ، عن ابن عباس . وعن مرة بن شراحيل ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، وغيرهم . وخلط

روايات الجميع فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف . ولم يلق السدى من الصحابة إلا أنس ابن مالك . وربما التبس بالسدى الصغير الذى تقدم ذكره .

ومنهم : « إبراهيم بن الحكم بن أبان العدنى » وهو ضعيف ، يروى التفسير عن أبيه ، عن عكرمة . وإنما ضعفوه لأنه وصل كثيراً من الأحاديث بذكر ابن عباس . وقد روى تفسيره : عَبْد بن حُميد .

ومنهم : « إسماعيل بن زياد الشامى . وهو ضعيف ، جمع تفسيراً كبيراً فيه الصحيح والسقيم . وهو فى عصر أتباع التابعين .

ومنهم : « عطاء بن دينار » وفيه لين . يروى التفسير عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وهو تفسير رواه عنه ابن لهيعة . وهو ضعيف .

ومن تفاسير التابعين » مايروى عن « قتادة » وهو طرق :

منها رواية : عبدالرزاق عن معمر ، عنه .

ورواية آدم بن أبى إياس وغيره ، عن شيبان عنه .

ورواية يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبى عروبة .

ومن «تفاسيرهم» تفسير الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، واسمه رفيع - بالتصغير - الرياحى - بالمثناة التحتية ، والحاء المهملة - وبعضهم لا يسمى فوق الربيع أحداً : وهو يروى من طرق :

منها رواية : أبى عبيد الله بن أبى جعفر الرازى ، عن أبيه ، عنه .

ومنها « تفسير مقاتل بن حبان » من طريق : محمد بن مزاحم بن بكير بن معروف عنه . و «مقاتل» هذا صدوق . وهو غير « مقاتل بن سليمان » الآتى ذكره .

ومن «تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم» : «تفسير زيد بن أسلم» ، من رواية ابنه عبد الرحمن ، عنه . وهى « نسخة » كبيرة ، يرويها ابن وهب ، وغيره ، عن عبدالرحمن عن أبيه . وعن غير أبيه . وفيه أشياء كثيرة لا يسندها لأحد و« عبد الرحمن » من الضعفاء ، و « أبوه » من الثقات .

ومنها : « تفسير مقاتل بن سليمان » وقد نسبوه إلى الكذب . وقال «الشافعى» مقاتل قاتله الله . وإنما قال الشافعى فيه ذلك لأنه اشتهر عنه القول بالتجسيم .

وروى تفسير مقاتل هذا ، عنه : أبو عصمة : نوح بن أبى مريم ، الجامع ، وقد نسبوه إلى الكذب .

ورواه أيضاً عن مقاتل : الحكم بن هذيل . وهو ضعيف ، لكنه أصلح حالا من من أبى عصمة .

ومنها « تفسير يحيى بن سلام المغربى » وهو كبير فى نحو ستة أسفار . أكثر فيه النقل عن التابعين وغيرهم . وهو لين الحديث . وفيما يرويه مناكير كثيرة . وشيوخه مثل سعيد بن أبى عروبة ومالك والثورى .

ويقرب منه : « تفسير سنيد » بمهملة ، ونون مصغراً . واسمه : الحسين بن داود وهو من طبقة شيوخ الأئمة الستة . يروى عن حجاج بن محمد المصيصى ، كثيراً ، وعن أنظاره . وفيه لين . وتفسيره نحو « تفسير يحيى بن سلام » وقد أكثر ابن جرير التخريج منه .

و « من التفاسير الواهية » لوهاء رواتها : «التفسير الذى جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفى ، الصنعانى » وهو قدر مجلدين ، يسنده إلى ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وقد نسب ابن حبان موسى هذا إلى وضع الحديث . ورواه عن موسى : « عبد الغنى ابن سعيد الثقفى . وهو ضعيف .

* * *

وقد يوجد كثير من «أسباب النزول» فى كتب « المغازى » : فما كان منها من رواية : معتمر بن سليمان ، عن أبيه . أ. من رواية : إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه : موسى بن عقبة ـ فهو أصلح مما فيها من كتاب محمد بن إسحاق . وما كان من رواية ابن إسحاق » أمثل ممافظ فيها من رواية الواقدى » .

* * *

وقد اختصر أسباب نزول القرآن للواحدى : إبراهيم بن عمر الجعبرى (٦٤٠ـ

٧٣٢هـ) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية وهو مختصر لا وزن له؛ لإجحافه فى الاختصار .

وقد اختصره السيوطى ، ولكنه حاول أن ينفى عنه صفة الاختصار فى كليمته التى قدم بها كتابه ، وذلك قوله : « وبعد : فهذا كتاب سميته لباب النقول فى أسباب النزول . لخصته من جوامع الحديث والأصول ، وحررته من تفسير أهل النقول » .

وقال بعد ذلك فى التنبيه الثالث ص ٦: «أشهر كتاب فى هذا الفن الآن كتاب الواحدى . وكتابى هذا يتميز عليه بأمور : أحدها الاختصار . ثانيها الجمع الكثير فقد حوى زيادات كثيرة على ماذكره الواحدى ، وقد ميزتها بصورة : لك رمزاً عليها ثالثها : عزوه كل حديث إلى من خرجه من أصحاب الكتب المعتبرة .. وأما الواحدى فتارة يورد الحديث بإسناده ، وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث ، فلا شك أن عزوه إلى أحد الكتب المذكورة أولى من عزوه إلى تخريج الواحدى ، لشهرتها واعتمادها ، وركون الأنفس إليها . وتارة يورده مقطوعا ، فلا يدرى : هل له إسناد أولا ؟ رابعها تمييز الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود . خامسها : الجمع بين الروايات المتعددة سادسها : تنحية ماليس من أسباب النزول »

ولست أسلم للسيوطى عيبه الواحدى بالتطويل فى إيراد الحديث بإسناده ؛ فذكر الإسناد منقبة ، وتركه مثلبة لاشك فيها ، ولا سيما فى مثل هذا الموضوع الذى كثرت فيه الروايات المدخولة ، ولن يستطيع قارىء الكتاب أن يميز الصحيح من غيره إلا إذا كان السند أمامه ، وذلك فى غير الأحاديث المخرجة من الصحاح .

وليس بصحيح مازعمه السيوطى من امتيازه بتمييز الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود ؛ فهو لم يفعل ذلك إلا قليلا ، بل لم يميز ذلك فى الزيادات التى أتى بها .

وأول حديث زاده على الواحدى ص ٨ فى قوله تعالى :﴿ أو كَصَيِّبٍ من السماء﴾ قال : « أخرج ابن جرير من طريق السدى الكبير ، عن أبى مالك وأبى صالح ،

عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وناس من الصحابة ، قالوا : كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر الذى ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق . . . » إلى آخره . ولم يعقب عليه السيوطى بأية كلمة ، فى حين أنه حديث غير صحيح . وهذا الحكم لم أقله من تلقاء نفسى بعد تنقيبى وبحثى ، ولم أنقله عن عالم علمته لم يقع علمه إلى السيوطى وإنما هو حكم الطبرى نفسه راوى الحديث فى تفسيره ١ / ٣٤٧ والمعقب عليه بقوله ص ٣٥٤ « وقد ذكرنا الخبر الذى روى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان : إن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أدخلوا أصابعهم فى آذانهم فَرَقا من كلام رسول الله أن ينزل فيهم ؛ أو يذكروا بشيء فيقتلوا ؛ فإن كان ذلك صحيحا - ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . »

والحديث الثانى الذى زاده السيوطى على الواحدى فى الصفحة نفسها فى قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما ﴾ قال : « أخرج ابن جرير عن السدى بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين المنافقين . . . الخ ولم يعقب بشيء والقول فى هذا الحديث كالقول فى سابقه ؛ لأن إسنادهما واحد ، وذلك غير بين فيما نقل السيوطى هنا ، ولكنه بين فى تفسير الطبرى ١ / ٣٩٨ « عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس . وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ... الخ »

وقد سبق فيما نقلت عن كتاب « العجاب فى بيان الأسباب » لابن حجر قوله عن السدى : إنه كوفى صدوق . ولكنه جمع التفسير من طرق . . وخلط روايات الجميع ، فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف . . »

وفى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ زاد حديثا

أخرجه ابن أبى حاتم والعدنى فى مسنده من طريق ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قال : قال سلمان : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن أهل دين ... » .

وليس السند أمامى حتى أستطيع تتبع رجاله لأعرف أحوالهم . ثم أخرج عن الواحدى حديثاً ص ١٠ ، ولم يعلق عليه . ثم أخرج عن ابن جرير وابن أبى حاتم ، عن السدى حديثاً دون تعليق . والحديثان منقطعان ، كما فى هامش تفسير الطبرى ٢/ ١٥٤ ، ١٥٥ .

من ذلك ، ومن غيره ، وهو كثير جداً ، يتبين أن السيوطى قد هوّل وطوّل ، واستجلب لنفسه من الفخار ماليس له ؛ليوقع فى روع القارىء أنه أعلم من الواحدى ، وأن كتابه أجل وأوفى ، وأبدع وأنقى .وتلك شنشنة نعرفها من السيوطى الذى دأب على الإغارة على كتب السابقين ، ثم يدعى فى كل كتاب يستلبه أنه أحسن من كتاب من سبقه ، وأنه فوق هؤلاء الذين اجتاح كتبهم ، واستاق رسائلهم ، وأن كتبه ورسائله تلك تعلو كتبهم ورسائلهم ، وأنها أدخل فى باب العلم، وأقعد فى بابة السمو ، وأجمع لشوارد المسائل ، وأنه لكل ذلك هو المجتهد المطاق ، والمخترع المبدع .ولم لا ، أليس هو الذى صنع الإتقان من البرهان ؟ ...

أليس هو الذى احتجن لنفسه « لمع الأدله و « الإغراب فى جدل الإعراب» لابن الأنبارى ، وأخرجهما باسم « الاقتراح فى علم أصول النحو » - وقال فى مقدمته : « هذا كتاب غريب الوضع ، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، طريف المبنى ، لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، فى علم لم أسبق إلى ترتيبه ، ولم أتقدم إلى تهذيبه ، وهو أصول النحو . . » ثم تواضع فقال : واعلم أنى قد استمددت فى هذا الكتاب كثيراً من الخصائص لابن جنى ؛ فإنه وضعه فى هذا المعنى ، وسماه أصول النحو . لكن أكثره خارج عن هذا المعنى ، وليس مرتباً ، وفيه الغث والسمين ،

والاستطرادات . فلخصت منه جميع ما يتعلق بهذا المعنى بأوجز عبارة وأرشقها، وأوضحها، معزواً إليه ، وضممت إليه نفائس أخر ، ظفرت بها فى متفرقات كتب اللغة والعربية وأصول الفقه ، وبدائع استخرجتها بفكرى ، ورتبته على نحو ترتيب أصول الفقه » ثم بعد تمامه رأيت الكمال ابن الأنبارى قال فى كتابه نزهة الألبا فى طبقات الأدبا : «علوم الأدب ثمانية .. وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما : علم الجدل فى النحو ، وعلم أصول النحو على حد أصول الفقه» ثم يقول السيوطى فى بسالة نادرة «فتطلبت هذين الكتابين حتى وقفت عليهما ، فإذا هما لطيفان جداً ، وإذا فى كتابى هذا من القواعد المهمة والفوائد ما لم يسبق إليه أحد ، ولم يعرج فى واحد منهما عليه » ثم خرج بالنتيجة الحتمية وهى أن مقام كتابه أعلى ونصابه أجل وأسنى !!! على نحو مافعل مع الواحدى فى أسباب النزول ، ولم يكتف بتفضيل كتابه على كتابه ، بل قال : إنه أحسن من كل كتاب فى بابه ، وذلك قوله فى الإتقان ١/٤٨ « ومن أشهرها كتاب الواحدى ، على مافيه من إعْوَاز . وقد ألفت فيه كتاباً موجزاً محرراً ، لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، سميته لباب النقول فى أسباب النزول » .

ولست أرتاب فى أن أهم ما يعوز كتاب الواحدى هو تخرج الأحاديث التى لم يخرجها ولا سيما تلك التى انفرد بروايتها عن أستاذه الثعلبى ، والتى لم يستطع السيوطى تخريجها من كتاب ، فاكتفى بقوله : « وأخرج الواحدى ، أو الثعلبى ، أو هما معاً ».

وحقيقه الأمر أن الواحدى كان قليل البضاعة من الحديث كأستاذه الثعلبى، وقد نقم عليهما العلماء إخراجهما أشياء قد رويت عن « سلسلة الكذب » وهى رواية السدى الصغير . كما نبهوا على خطئهما فى رواية ذلك الحديث الطويل فى فضائل القرآن فى تفسيريهما ؛ لأنه حديث موضوع ، وضعه القاضى أبو عصمة الجامع : نوح بن أبى مريم المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وهو ممن لايجوز الاحتجاج به بحال - كما قال ابن حبان لأنه يقلب الأسانيد ، ويروى عن الثقات ماليس من حديث الأثبات . قيل لأبى عصمة:

من أين لك : عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن إسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة !!!

ويقتضينا الإنصاف أن نقول : إن الواحدى والثعلبى لم ينفردا برواية الأحاديث الغريبة المريبة ؛ فقد شاركهما جمهرة المفسرين — وانفرد السيوطى بالإمامة فى ذلك ، وأتى بما لم يأت به الأوائل والأواخر ، وكم من آلاف الأحاديث الضعيفة والموضوعة شحن بها كتبه ، وحسبه أنه مؤلف الجامع الكبير والدر المنثور . وإن فى أشهر كتبه وهو الإتقان أحاديث كثيرة استغلها أعداء الاسلام فى الطعن على القرآن .

والمشكلة فى حقيقة أمرها أكبر من الواحدى والسيوطى ، بل ومن كل المفسرين ؛ لأن الأحاديث المدخولة كثيرة ، وهى تشبه غابة لفّاء شَجْراء ، مترامية الأرجاء لا يقوى على الضرب فيها إلا أولو العزم من العلماء ، وأين العلماء؟

ومن أعجب العجب أن يكون الباذرون بذور تلك الغابة طائفة من أعلام العلماء العاملين ، الذين لا مغمز فى علمهم ، ولا مطعن فى دينهم ، ولا ملمز فى صدق جهادهم فيما عاهدوا الله عليه من نصرة الاسلام ، والذب عن حديث الرسول ، وإنفاق الأعمار فى بثه بين المسلمين ، وحفظه من تحريف الجاهلين ، وتأويل الغالين ، وانتحال المبطلين . ولكنهم أتوا من قبل رأى ارتأوه ، ومذهب ذهبوا إليه — وهم بشر يخطئون ويصيبون — فقد قالوا : بالتشدد فى رواية أحاديث الحلال والحرام ، والتساهل فى أحاديث فضائل الأعمال .

وكان تساهلهم ذلك المنفذ الذى نفذ منه الوضاعون على اختلاف أغراضهم ، والمزلق الذى زلقت فيه عقول البُله المغفلين من المحدثين الذين استجازوا الوضع للترغيب والترهيب احتساباً للثواب بزعمهم ، فأضروا بأنفسهم وبدينهم ، وأوقعونا فى مضلة عمياء ، لا نكاد نتهدى فيها لوجه الحق ، ولا نستطيع أن نميز بين الحديث الثابت والحديث المنحول إلا بشق الأنفس .

ولست أدرى كيف ذهب عن هؤلاء الأعلام أن قولهم هذا قول عظيم يحمل فى

فى أطوائه تنكبهم عن السبيل السوى فى أداء مهمتهم ، وتفتّتهم من القيام برسالتهم التى انتدبوا أنفسهم لها ، وهى إقامتهم الوزن بالقسط بين ماقاله الرسول ، حقاً ، ومانسب إليه مَيْنا . سواء أكان ذلك قولا يتعلق بالحلال والحرام ، أم كان قولا يتعلق بالفضائل أو بغيرها من صغائر الأمور .

ومن عجب أن يصير قولهم ذلك سنة متبعة ، ومنهجاً ينتهجه المؤلفون فى كل عصر ومصر . ومن أقدم من انتهجه وسجل على نفسه ذلك الانتهاج الحاكم فى المستدرك فقد قال ١/٤٩٠ « وأنا بمشيئة الله ، أجرى الأخبار التى سقطت على الشيخين ، فى كتاب الدعـــوات ـ على مذهب أبى سعيد : عبد الرحمن بن مهدى فى قبولها ؛ فإنى سمعت أبا زكريا : يحيى بن محمد العنبرى يقول : إذا روينا عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى الحلال والحرام ، والأحكام ـ شددنا فى الأسانيد وانتقدنا الرجال . وإذا روينا فى فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات ـ تساهلنا فى الأسانيد » .

وعفا الله عن ابن مهدى ومن لف لفّه فى ذلك المذهب الذى فتح علينا أبواب الشر : شر الوضع على النبى ، وتقويله ما لم يقل . ونسأل الله أن يهبنا من لدنه مانستطيع به الإسهام مع المسهمين فى تمييز صحيح الآثار ولاسيما تلك التى تتعلق بتفسير القرآن وأسباب نزوله .

فموضوع أسباب النزول من أخطر الموضوعات القرآنية ، وأجدرها بعناية المسلم واهتمامه ؛ ليكون على بينة من معنى ما يقرأ من كتاب ربه ، الذى افترض عليه تدبره وتأمله . وأى عون على التدبر أقوى من معرفة أسباب نزول الآيات ؟

وقد تبينت أن النصيحة لكتاب الله توجب على أن أنشر أهم كتاب ألف فى أسباب نزوله ، وهو كتاب أبى الحسن الواحدى .

وقد اعتمدت فى طبعه على مخطوطة أحمد الثالث بتركيا ، وهى نسخة جيدة ، ولكنها ناقصة ، تنتهى عند أول الكلام على قوله تعالى فى سورة الطلاق : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴾ .

وهى من رواية أبى العباس : عمر بن عبد الله بن أحمد الأرغيانى ، المتوفى بنيسابور سنة ٥٣٤ هـ . وقد رواها عنه محمد بن فضل الله بن محمد السالاوى النيسابورى ، ثم رواها عنه حسام بن عزيز بن يونس ، المعروف بالعماد المحلى ، وهو صاحب النسخة ، وقد قرأها صاحبها من أولها إلى آخرها على محمود بن محمد ابن يحيى الارموى فى شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وهذا السماع مكتوب بخط الأرموى على الصفحة الأولى منها . وعدد أوراقها ١٦٧ ورقة .

واستعنت بنسختين : الأولى منهما : بدار الكتب المصرية ، وهى مكتوبة بخط حجاج بن يوسف ابن صارم السعدى ، وقد فرغ منها يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبعمائة . وعدد أوراقها ١٤٢ ورقة .

والثانية نسخة بمكتبة الأزهر ، وهى غير مؤرخة ، وبها خروم كثيرة . وتقع فى ٢١٤ ورقة .

كما رجعت إلى الطبعة الاولى منه ، وهى مطبوعة فى مطبعة أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ .

وهى طبعة تجارية ناقصة ، تموج صفحاتها بالتصحيف المنكر ، والتحريف الغليظ الذى يستغلق به المعنى ، بل يحول ويزول ، وتستحيل أسماء الصحابة والرواة المشهورين إلى أسماء أخر ليس لها فى التاريخ وجود .

وقد أعيد طبعه فى مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٧٩هـ نقلا عن الطبعة الأولى فجاءت حذوها فى كل تحريف وتصحيف ونقص ، فمن خطل الرأى تسميتها طبعة ثانية .

وإنى ذاكر هنا بعض الأخطاء الواقعة فيها مع تصويبها من طبعتى هذه :

ص ٣ « الحمد لله الكريم الوهاب ، هازم الأحزاب ، ومنشىء السحاب ، ومرسل الهباب » !!

والصواب : « . . هازم الأحزاب ، ومفتح الأبواب ، ومنشىء السحاب ، ومرسى الهضاب » .

ص ٣ « يزيد بن أبى كثير » والصواب « يزيد بن أبى بكير » .

ص ٤٢ « عمرو بن الحسين » والصواب « عمرو بن حُبَشى » .

ص ٦٣ « وقالوا : قد وقدت الحرب نارها سعرت » والصواب : « وقالوا : واقِدٌ : وقَدَت الحرب ، وعمرو : عمرت الحرب . والحضرمى : حَضَرَت الحرب » .

ص ٦٨ « موسى بن العباس الجوهرى » والصواب « بن العباس الجُوَيْنِي » .

ص ٩٤ «خطب رسول الله على الخندق يوم الأحزاب ، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً » والصواب « خط رسول الله » .

ص ١٧٦ « وأخبرنى الساهر ... عن القاسم بن نجيد » والصواب : « وأخبرنى الشريف ... عن القاسم بن مخيمرة » .

ص ١٨٥ « وإن كلاب آل درع وآل حورية» والصواب : «وإن كلاب آل ذريح وآل أبى جُوَيْرِية » .

ص ١٩٣ « إن الكفار حضروا رسول الله والمسلمون على ذلك» والصواب:«حسدوا رسول الله والمسلمين » .

ص ٢٠٧ « كان تميم الدارى وعدى بن زيد » والصواب : « وعدى بن بداء ».

ص ٢٤١ « عن أبى سلام قال : حدثنا معمر بن بشير » والصواب :«النعمان بن بشير» الصحابى الشهير .

ص ٢٥٠ « فقال نبى الله : اجلسوا على الركب » والصواب : « . . . احبسوا علىَّ الرَّكْب » .

ص ٢٨٤ « وعامر وجندل بن صهيب » والصواب : « وعمار ، وأبى جَنْدَل ابن سهيل » .

ص ٢٨٥ « على مولاه هذا السيد أسد بن أبى العيص » والصواب « على مولاه :هو أسيد بن أبى العيص » .

ص ٣٨٧ « قال الوليد بن المغيرة لملاص قريش ، وهم الصناديد والاشراف» والصواب للملأ من قريش . .» .

ص ٣٩٠ « فقلنا الميعاد بيننا المناصف ـ ميقات بنى غفار ـ فمن حبس منكم لرايتها فقد حبس» والصواب . « فمن حبس منكم لم يأتها فقد حبس »

ص ٤٠١ « قال الثعابى عن أبى صالح » والصواب : « قال الكلبى . . . »

ص ٤٠٣ « أخبرنا محمد بن إبراهيم الداركى » والصواب « . . . المزكى » .

ص ٤١٢ «فقام الأقرع بن حابس فقال :إن محمد المولى إنه والله ماأدرى ماهذاالأمر . . ثم دنا من رسول الله فقال :أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال النبى مانصرك ما كان قبل هذا » . .

والصواب : « . . . إن محمداً لمؤتًى له ... فقال النبى : مايضرك . . : »

ص ٤١٨ «وقال يزيد بن الشخير» والصواب « يزيد بن شجرة » .

ص ٤٣٩ «عن أبى عفان ، عن عمرو العنصرى » والصواب : « عن ابن عفان ، عن عمرو العَنْقَزِى » :

ص ٤٤٦ « وحدثنا المسخر بن الصلت . . . عن عبد الله بن عمر قالت أهدى لرجل من أصحاب رسول الله رأس شاة فقالت إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا»

والصواب :حدثنا المستجير بن الصلت عن عبدالله بن عمر قال : أهدى . . . رأس شاة فقال إن أخى . . . »

ص ٤٤٧ « أن سارة مولاة عمر بن صهيب بن هشام» والصواب : «مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم »

ص ٤٥٥ « عن جابر بن عبد الرحمن ، قال : كان رسول الله يخطب » والصواب « جابر بن عبدالله » وهو الصحابى المشهور .

ص ٤٥٦ « حدثنا عنتر بن القاسم » والصواب « حدثنا عَبْثَر بن القاسم »

ص ٤٥٦ «أصاب أهل المدينة أصحاب الضرار جوع وغلاء سعر» والصواب « أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر »

ص ٤٧٥ « إسحاق بن إبراهيم اللزبرى » والصواب : « . . . الدَّبَرى »

ص ٤٧٧ « نزلت فى عمر بن ربيعة » والصواب : « . . فى عدى بن ربيعة »

* * *

هذه أمثلة لما فى الطبعة الأولى من أخطاء فاحشة ، وأغلاط شنيعة ، وقعت فى سائر صفحات الكتاب ، كما وقع فيها نقص جمل وكلمات وصفحات . ومن ذلك النقص الذى بدأ إكماله فى صفحة ٤٥٨ من طبعتى هذه وانتهى فى أوائل صفحة ٤٦١ وكل هذا موجود فى طبعة « الحلبى » فوق ما أحدثته من تطبيع .

ومنه يتبين أنهما لاوزن لهما على الإطلاق ، وأن تحقيق الكتاب كان مُفْتَرَضاً لامندوحة عنه رعاية لحق العلم ، وحفاظاً على سمعة مصر ، التى ظلت وستظل بإذن الله المركز الفذ لإحياء التراث الإسلامى ونشره نشراً علميا كريما .

وإن مصر ليسرها أن يعمل غيرها فى ميدان النشر بكل ماله من حول وطول ، وأن يظفر منه بكل فائدة وعائدة يؤملها . ولكن يسوءها أن يكون دأب غيرها اختلاس كتبها ، دون رعاية لمبادىء الأخلاق أو محافظة على مواجب الأخوة

والسبيل السوى الذى يجدر بالعقلاء سلوكه : هو التنافس الشريف الذى لايخيس ولا يجيف . وتراثنا بحمد الله ـ كثير بالغ الكثرة والعِظَم ، تنوء بنشر بعضه كل الأمم الوارثة له ، فمن الخير أن يعمل القادرون على نشره ، وأن ينشروا منه ماشاؤا على شريطه أن ضرر ولا ضرار .

ولست أقصد الضرر الذى يلحقهم من تَعَاوُرِهم على طبع كتب بأعيانها فحسب وإنما أقصد معه ذلك الضرر الذى يلحق بالقراء من جراء سوء الاختيار . فليس كل تراث قديم بصالح للنشر ؛ ولا مفيد للقراء بل النافع منه قليل ، شأنه فى ذلك شأن الجديد على حد سواء

والكتب من حيث الاصطفاء كالناس لا تكاد تجد فى كل مائة واحداً .

وبعد : فحمداً لله الذى كتب علينا الإحسان فى كل شيء ، وسلاماً على رسول الله الذى علمنا أن نسأل الله علماً نافعاً ، ورزقا طيباً ، وعملا مُتَقَبَّلاً ؟

السيد أحمد صقر